عيد الفطر ووقفات مع أحوال الأمة

(خطبة عيد الفطر للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 1 شوال 1433هـ الموافق لـ 19 أوت 2012م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** {01} " **سورة النساء**

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** {102}) **سورة آل عمران**

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** {70} **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** {71} " **سورة الأحزاب**

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال

معاشر المسلمين ،

الحمد لله على نعمة الإسلام وما أعظمها من نعمة، ونعم الله كثيرة وأجلّها نعمة الإسلام قال تعالى " . . . **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** . . . {03} " سورة المائدة .

– أكمل دينه فلا دين سواه، ولا نبيّ بعد نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، جاء بالهدى والرّحمة والطّمأنينة والعدل بين النّاس والصّدق، أحلّ الطّيّبات وحرّم الخبائث الّتي تضرّ الإنسان.

" . . . **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** . . . {157} " سورة الأعراف .

– أحلّ طيّبات لا تستقيم الحياة إلاّ بها، وحرّم الخبائث من خمر وزنا وسحر وعقوق وسرقة تلحق الضّرر بصاحبها والمجتمع، ليس ذا فحسب بل وجازى بالجنان من أطاعه، رغم أنّ طاعته لربّه فيها صلاح دنياه وآخرته.

" **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً** {115} " سورة الأنعام.

تلك هي نعمة الإسلام، ولذلك كان يقول إبراهيم بن أدهم التّابعي الإمام الزّاهد لأصحابه : (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السّعادة والسّرور، لجالدونا عليه بالسّيوف).

هذا لمن ذاق حلاوة الإيمان وسكينة الإطمئنان بالقرآن، وراحة البال بهداية الإسلام .

الإسلام إذا فهمه الرّجل وباشر الإيمان قلبه، يعيش سعادة ما بعدها سعادة .

يقول إبن القيّم سمعت شيخ الإسلام أبن تيميّة يقول : (إن في الدّنيا جنّة، من لم يدخلها لا يدخل جنّة الآخرة) .

وقال لي مرّة : (ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنّتي وبستاني في صدري) . يقصد نعمة الإسلام وشجرة الإيمان .

من أجل نعمة الإسلام ونعمة الإيمان، نرى بأنّ سحرة فرعون بعدما آمنوا وباشر قلوبهم الإسلام، قدّموا أنفسهم رخيصة و لم يبالوا بوعيد فرعون من تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو صلبهم على جذوع النّخل، وقد خلّد الله تعالى ذكر إيمانهم وثباتهم في قوله: " **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى** {70} **قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**

{71} **قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** {72} " **سورة طه.**

والعجيب في القصّة أنّهم سرعان ما آمنوا، و لم يمض وقت طويل على إيمانهم وإسلامهم .

هل رأيتم ثباتًا فريدًا كهذا ؟ في حين ترى بعض النّاس يبيع دينه بعرض من الدّنيا قليل.

– من أجل منصب يبيع كل مبادئه الّتي كان يؤمن بها.

– من أجل المال يبيع ويتخلّى عن كلّ الأخلاق الّتي يؤمن بها.

– من أجل امرأة حسناء ينسى الحياء ويذبح الطّهارة والعفّة.

قال عليه الصّلاة والسّلام : (بادروا بالأعمال فتنًا كقطع اللّيل المظلم، يصبح الرّجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدّنيا) أخرجه مسلم .

المستقبل لهذا الدّين :

أنت في نعمة كبيرة، إيّاك إيّاك أن تغيّر أو تبدّل أو تنحرف، ولا يغرّنّك كثرة المنحرفين، ولا تلتفت إلى المتفلّتين والمتفلّتات من الدّين، فإنّ المستقبل لهذا الدّين .

فقد قال سبحانه " **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** {105} " **سورة الأنبياء.**

" **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ** {171} **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ** {172} **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** {173} " **سورة الصافات.**

لقد رغّب النّبي صلّى الله عليه وسلّم عديّ بن حاتم الطّائي لدخول الإسلام ، وكان عديّ قد فرّ حينما بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليّا رضي الله عنه إلى قبيلة طيء لهدم صنم الفلس بعد فتح مكّة، فقاومت هذه القبيلة ثمّ فرّوا إلى كلّ مكان ، وفرّ عديّ بن حاتم إلى ملوك الشّام، وأسرت أخته، ولكنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم منّ عليها من غير فداء، فانطلقت إلى الشّام تدعو أخاها للقدوم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال عديّ :

(فوالله إن كان صادقًا فلأسمعنّ منه، وإن كان كاذبًا فليس بضائري)

يقول عديّ بن حاتم: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (يا عديّ أسلم تسلم) فقال صلّى الله عليه وسلّم:

(أما إنّي أعلم ما الّذي يمنعك عن الإسلام، تقول إنّما اتّبعه ضعفة النّاس ومن لا قوّة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة) قلت (لم أرها وقد سمعت بها) قال: (فوالّذي نفسي بيده ليتمّنّ الله هذا الأمر حتّى تخرج الظّعينة من الحيرة حتّى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحنّ كنوز كسرى بن هرمز) ، قلت : (كسرى بن هرمز ؟) قال : (نعم كسرى بن هرمز، وليبذلنّ المال حتى لا يقبله أحد، يا عديّ لعلّك إنّما يمنعك من الدّخول فيه أنّك ترى الملك والسّلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم) – أي قال له سيصبح المسلمون كثرة وأغنياء، وسيولّون شبه الجزيرة العربيّة كلّها، ويتغلّبون على الفرس والرّوم – قال فأسلمت.

فكان عديّ يقول : (مضت إثنتان وبقيت الثّالثة، والله لتكوننّ ، وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها لا تخاف حتّى تحجّ هذا البيت، وأيم الله لتكوننّ الثّالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه).

هذا الدّين سينتصر وسيسود بعزّ عزيز أو ذلّ ذليل .

بعد أحداث سبتمبر ورغم تشويه الإسلام في أمريكا، فإنّه دخل مليون ونصف مليون أمريكي إلى الإسلام، والإحصائيّات تقول يدخل إلى الإسلام 25 ألف أمريكي وأمريكيّة كلّ سنة ، إنّه نور الله إنّه هداية الله .

" **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ {8} هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ {9}** " **سورة الصف.**

أتدرون لماذا ينتشر الدّين هنالك ، لأنّهم يقرأون عنه فيجدون العجب العجاب في دين الحقّ، دين الرّحمة، دين العفو دين ، وكيف لا يدخل في الإسلام من يقف على سيرة النّبي مع أعدائه .

ثبت في الحديث المتّفق عليه عن عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت للنّبي صلّى الله عليه وسلّم : (هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد ؟) قال : (لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على إبن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال : (إنّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم) ، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثمّ قال : (يا محمّد إنّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربّي إليك

لتأمرني بأمرك بما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين)، فقال النّبي صلّى الله عليه وسلّم : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا).

دين الرّحمة ليس دين الإنتقام ولا دين الأحقاد .

– وجاء بعده عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فعفا على أهل إيليا (فلسطين)، وأعطاهم كل حقوقهم، وحفظ لهم أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وعبادتهم وكنائسهم .

– وسار على ذلك المسلمون، فجاء صلاح الدّين الأيّوبي فأعطاهم مثالاً، دوّنه تاريخ أوربّا في عفو المسلمين وعدم انتقامهم، وأنّه دين حضارة، رحمة للعالمين، العهدة العمريّة اليوم مكتوبة على جامعات أوربّا .

ألم يقل تعالى : " **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** {8} " **سورة الممتحنة.**

هذا هو الإسلام، رحمة للعالمين، ليس كحقد النّصارى في سبرنيتشا بالبوسنة بالأمس، حيث قتلوا في اليوم الواحد 8 آلاف مسلم، كما اغتصبوا في هذه الحرب حوالى 25 الف مسلمة. ولا نصارى أمريكا الّذين دكّوا بغداد خلال شهر بآلاف الأطنان من القنابل، فلم يرحموا صبيًّا ولا امرأةً ولا شيخًا ولا عابدًا في مسجد، سواء ذلك بالأمس أو اليوم حيث يرسلون طائرات بدون طيّار تغير على قرى المسلمين في باكستان وأفغانستان، فتقتل بدون تفريق بين مقاتل أو عائلة. ولا اليهود وماذا فعلوا في غزّة وصبرا وشتيلا. ولا الهندوس الوثني وما فعلوه بالأمس في مسلمي الباكستان، ثمّ ما يفعلونه اليوم في بورما بالمسلمين.

كيف لا يدخل النّاس في دين الله أفواجًا وهم يقرؤون أن عمر بن الخطّاب بعث الجيوش، فيوصي أبا عبيدة بن الجراح لّما وجّهه إلى فتح بلاد الشّام فيقول لهم :

(بسم الله وعلى عون الله، وامضوا بتأييد الله بالنّصر، وبلزوم الحقّ والصّبر (فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين، لا تجبنوا عند اللّقاء، ولا تمثّلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظّهور، ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأةً ولا وليدًا) ... نزّهوا الجهاد عن عرض الدنيا).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه،

يا معشر الرّجال، لقد دعاكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حجّة الوداع، فقال : (استوصوا بالنّساء خيرًا)، وعلى المرأة أن تحرص على طاعة زوجها في المعروف، وحسن عشرته، وعدم إثقال كاهله بالمطالب الّتي لا يقوى عليها .

فقد ثبت في الحديث الّذي صحّحه الألباني عن أبي هريرة وثبت في المسند وابن حبان ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنّة شئت)، احرصي على حيائك، احرصي على حجابك وسترك، احفظي نفسك عن الحرام .

معاشر المسلمين، فليعفوا وليتجاوز بعضكم على بعض، فقد قال تعالى " . . .**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** {134} " **سورة آل عمران** .

معاشر الإخوة الكرام، معاشر المسلمين، تقبّل الله منّا ومنكم، كلّ عام وأنتم بخير و السّلام عليكم.